الفصل الرابع
حركات الخوارج وثوراتهم

لم تنقطع حركات الخوارج في وقت من الأوقات إلا من أجل تنظيم صفوفهم، وإعادة الكرة مرة أخرى، حتى إن جميع ما يروى عن الخوارج في كتب الفرق والتاريخ لا يعدو أحد أمرين: إما حديث عن ثورة وخروج على الدولة، وإما حديث عن خلافاتهم وتمزقهم وتحزبهم فرقا صغيرة، وهكذا كانت تمضي مسيرة الخوارج.

وقد بدأت هذه الحركات مبكرا بعد حرب النهروان مباشرة، حيث خرجوا على الإمام عليّ قبل مقتله، واستمر خروجهم حتى العصر العباسي.

وسوف أستعرض هذه الحركات بإيجاز، لأن مقصد البحث ليس التأريخ للحركة، وإنما بيان موقف الخوارج، وآرائهم حيال الأئمة، وموقفهم من الخروج على الحاكم.

أولاً: ثورات الخوارج على الإمام عليّ:ـ

بعد حرب النهروان مباشرة بدأت حركات الخوارج ضد الإمام عليّ ﷺ، ففي سنة ثمان وثلاثين خرج أشرس بن عوف الشيباني على عليّ ﷺ في مائتين من أصحابه، فوجه إليه علي ثلاثمائة رجل فقاتلوهم.

ثم خرج هلال بن علفة في أكثر من مائتين فوجه إليهم جيشا قاتلهم في جمادى الأولى.

ثم خرج الأشهب بن بشر في مائة وثمانين رجلا، فوجه إليهم عليّ

بعض أصحابه فقتلوهم في جمادى الآخرة.

ثم خرج سعيد بن قفل التيمي، ومعه مائتا رجل فخرج إليهم أصحاب عليّ فقتلوهم في رجب.

ثم خرج أبو مريم السعدي التيمي ومعه مائتا رجل أو أربعمائة، لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم، فخرج إليهم عليّ ﷺ بنفسه فقاتلهم، ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فأمنهم عليّ، وداوى الجرحى منهم وعددهم أربعون، وذلك في رمضان سنة ثلاث وثلاثين[١].

❖ ثانياً: ثورات الخوارج في العصر الأموي:ـ

كان الخوارج من أشد الناس بغضا لمعاوية، لأنهم في الأصل كانوا من شيعة عليّ، ثم إنهم يرون أن معاوية قد اغتصب الخلافة بالتحكيم، وهو الذي أضعف وحدة المسلمين، لذلك لم تهدأ ثورات الخوارج على الأمويين كلما ظهر منهم عدد يسمح بالخروج أو الثورة، ووقفوا في وجه الدولة الأموية وقفة شجاعة، مما أقض مضاجعهم، وصرفوا جهودهم إلى محاربتهم، حتى كانوا من أقوى عوامل انهيار الدولة بعد أن استنفذت جهدها في محاربتهم، مما مكن للعباسيين بعد ذلك أن يستولوا على الخلافة.

وسوف أذكر أشهر ثوراتهم ضد الأمويين، ليس على سبيل الإحصاء،ولكن بالقدر الذي يبين موقفهم من الدولة وصراعهم معها .

ما أن تنازل الحسن بن علي ﷺ[٢] عن الخلافة إلى معاوية، حتى

---

(1) انظر في ثورات الخوارج على الإمام عليّ: الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٧٢ – ٣٧٣.

(2) الحسن بن عليّ بن أبي طالب، أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولد في النصف من رمضان سنة ٣هـ، يكنى أبا محمد، وهو أشبه الناس وجها برسول الله ﷺ، تنازل

خرجت طائفة ممن اعتزلت يوم النهروان بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي، وخرجوا إلى الكوفة، فأرسل إليهم معاوية جيشا فقاتلوه، فحرض عليهم أهل الكوفة فاستجابوا له وقاتلوهم[١].

وفي العام التالي تجمع منهم أربعمائة نفر بقيادة حيان بن ظبيان السلمي، وولوا عليهم المستورد بن علفة التيمي، وتواعدوا على الخروج غرة شعبان سنة ٤٣هـ، وعاملهم المغيرة بن شعبة[٢] - عامل معاوية على الكوفة آنذاك - بلطف، لأنه كان يكره إراقة الدماء، لكنه لما علم بخروجهم قبض عليهم وأودعهم السجون، وجهز لمن بقي منهم جيشا قوامه ثلاثة آلاف فأبادهم عن آخرهم[٣].

ولماشعر معاوية بخطر الخوارج استعمل على الكوفة زياد بن أبيه[٤]، وكانت هذه مرحلة جديدة في الصراع مع الخوارج، حيث لم يستعمل معهم

لمعاوية عن الخلافة، مات بالسم سنة ٤٩هـ، وقيل ٥٠هـ.
سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٤٥.

(1) الطبري ٥/ ١٦٦، الكامل ٣/ ٤٢٠ –٤٢١، البداية والنهاية ٨/ ٢١.

(2) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، أبو عيسى، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، شهد بيعة الرضوان، وذهبت عينه في القادسية، مات سنة ٥٠هـ وله سبعون عاما.
أسد الغابة ٤/ ٤٠٦، طبقات ابن سعد ٤/ ٢٨٤، شذرات الذهب ١/ ٥٦

(3) الطبري ٥/ ١٩٣ – ٢٠٠، الكامل ٣/ ٤٢٨ – ٤٣٠، البداية والنهاية ٨/ ٢٣

(4) زياد بن أبيه: هو ابن سمية، ويقال له: ابن أبي سفيان، استلحقه معاوية، ذكره أبو عمر في الصحابة، وجزم ابن عساكر بأنه أدرك النبي ﷺ ولم يره، وأنه أسلم في عهد أبي بكر، وقال العجلي: تابعي ثقة، ولد عام الهجرة.
الإصابة ٢/ ٦٣٩، لسان الميزان ٢/ ٤٩٣، الكامل ٣/ ٤١٨.

اللين، وإنما اتبع معهم سياسة الحزم والشدة حتى انتهى عهد الخوارج في الكوفة.

لكن ينبغي الإشارة إلى أمر، وهو أن الخوارج ما كانوا يتوقعون من خصومهم لينا في المعاملة، ولا كان يعنيهم سلوك الخصوم من شدة أو مسامحة، فهمهم الأول هو الخروج والثورة ولو كان في ذلك فناؤهم. ويرجع ذلك لشجاعتهم من جهة، واستعدادهم للفناء من أجل نصرة مذهبهم من جهة أخرى.

أما في البصرة فقد بدأ خروجهم فيها سنة إحدى وأربعين بخروج سهم بن غالب في سبعين رجلا من أصحابه.

وتوالى خروجهم بعد ذلك، ففي سنة٥٠ هـ خرج قريب الأزدي وزحاف الطائي بالبصرة، فاشتد عليهم زياد فقتلهم، ثم خرج زياد بن خراش في ثلاثمائة فارس فسير إليهم زياد جيشا فقتلهم، وفي سنة ٥٨هـ خرج طواف بن غلاق مع سبعين رجلا قاتلهم شرط عبيد الله بن زياد[1] حتى أفنوهم عن آخرهم وصلبوا طوافا.

ومن أشهر ثورات الخوارج في البصرة خروج أبي بلال مرداس بن أدية في أربعين من أصحابه سنة ثمان وخمسين من الهجرة، وسبب خروجه أن عبيد الله بن زياد قتل في هذه السنة جماعة كثيرة، منهم عروة بن أدية أخو

(1) عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان، ولد سنة ٣٢هـ أو٣٣، كان يعرف بابن مرجانة، وهي أمه، تولى إمارة الكوفة لمعاوية، ولما مات أبوه ضم إليه إمرة البصرة، وهو الذي جهز الجيوش للحسين حتى قتل بكربلاء. التاريخ الكبير ٥/ ٣٨١.

مرداس، فحز ذلك في نفسه، إضافة إلى مشاهدته مصرع البثجاء[١] فقال: **"أهذه أطيب نفسا بالموت منك يا مرداس؟! ما ميتة أموتها أحب إلى من ميتة البثجاء"**،وخرج في أربعين من أصحابه فهزموا جيشا عدته ألفا مقاتل أنفذه لهم ابن زياد[٢].

لكن عبيد الله بن زياد أرسل لهم ثلاثة آلاف مقاتل فقتلوه هو وأكثر أصحابه عام٦١هـ[٣]

---

(1) البثجاء: امرأة من بني يربوع،من الخوارج المجتهدات، كانت تحرض على ابن زياد وتذكر سوء سيرته، فذكر ابن زياد، فلما نصحت بالتقية قالت:أخشى أن يلقى أحد بسببي مكروها، فأخذها ابن زياد فقطع يديها ورجليها. الكامل لابن الأثير٣/ ٥١٨–٥١٩.

(2) الطبري ٥/ ٣١٤.وفي هذه الواقعة قال عيسى بن فاتك الأبيات التي سبق إيرادها:-

أألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

(3) الطبري ٦/ ١٧٥، ابن الأثير ٤/ ٩٤. وقد كان أبو بلال مرداس أدية على رأي المحكمة الأولى في ترك الاستعراض وعدم خروج النساء للحرب، ورفض البدء بالقتال، فأثار قتله ألما في نفوس الخوارج، واقتفي أصحابه أثره من بعده.

يقول فلهوزن: (صار عند الخوارج القديس الحقيقي، وإن لم يتمثلوه هم في رقة نفسه، ودماثة طبعه، فأثار استشهاده أبلغ الحفيظة في نفوسهم (الخوارج والشيعةص٦٤)، لذلك لما خرج عبيدة بن هلال بعده كان يقول: (شيخ على دين أبي بلال)، وقال عمران بن حطان في رثائه: [شرح نهج البلاغة ٥/ ٩٠ – ٩١].

يا عين بكي لمرداس ومصرعه يا رب مرداس اجعلني كمرداس

ولما اشتد عبيد الله بن زياد عليهم قدموا على عبد الله بن الزبير[١] في مكة ليقاتلوا معه أهل الشام، فلما وضعت الحرب أوزارها أرادوا معرفة موقف ابن الزبير، هل هو على رأيهم أم يخالفهم؟ فلما علموا مخالفته لهم فارقوه ورحلوا من عنده[٢].

ولهذا الموقف دلالة عميقة على سلوك الخوارج، فهم لا يبغون من وراء حروبهم كسبا ماديا، وإنما قتالهم من أجل مبدأ اعتنقوه، وآمنوا به، واستعدوا أن يموتوا من أجله،فمع كونهم منتصرين مع ابن الزبير، ويحاربون عـدوا مشتركا، إلا أنهم عندما علموا أنه ليس على رأيهم فارقوه، ورحلوا عنه.

وكان ممن فارقه إلى البصرة نافع بن الأزرق، ثم لحق بالأهواز[٣] واستولى عليها، وأخذ الفزع يشتد في قلوب أهل البصرة حتى طلبوا من

تركتني هائما أبكي لمـرزئه في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يامرداس بالناس

(1) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي المكي، أول مولود للمهاجرين بالمدينة سنة ١ أو ٢ هـ، كان كثير الصلاة والصيام، بويع للخلافة سنة ٦٤هـ، وحج بالناس ثمان سنوات، قتله الحجاج في جمادى الأولى سنة ٧٣هـ.
الإصابة ٢/ ٣٠٨، الاستيعاب ٢/ ٣٠٠.

(2) الطبري ٥/ ٥٦٣- ٥٦٤، الكامل ٤/ ١٦٥ – ١٦٦.

(3) الأهواز: بلدة بين البصرة وفارس، فتحها المسلمون في عهد عتبة بن غزوان أمير البصرة، وقيل: غزاها أبو موسى الأشعري. معجم البلدان ١/ ٢٨٤.

الأحنف بن قيس[١] أن يتولى حربهم، فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة لشجاعته وإقدامه، فدارت بين الفريقين معارك طاحنة تبادلوا فيها النصر والهزيمة،حتى انتهت بهزيمة الخوارج[٢].وممن فارق نافع نجدة بن عامر،فسار إلى اليمامة[٣]، ثم خرج بأصحابه إلى البحرين[٤] فاستولى عليها وأقام بها، وحج بالناس سنة ثمان وستين،وفي هذا العام وقفت بعرفات أربعة ألوية: ابن الحنفية[٥] في لواء، وابن الزبير في لواء، ونجدة في لواء، ولواء بني أمية[٦].

وفي سنة ثمان وستين بايع الخوارج قطري بن الفجاءة أميرا للمؤمنين، وحدث بينه وبين جيوش الخلافة بقيادة المهلب بن أبي صفرة معارك طاحنة حتى دب الخلاف بين اتباع قطري فاعتزلوه وولوا عبد ربه الكبير عليهم،

---

(1) الأحنف بن قيس بن معاوية، الأمير العالم، يُضرب المثل بحلمه وسؤدده، كان سيد تميم، أسلم في حياة النبي ﷺ ووفد على عمر، كان من قواد عليّ يوم صفين، مات سنة ٦٧، وقيل ٧١. البداية والنهاية ١٠/ ٤٨.

(2) الطبري ٦/ ١٩٥ – ١٩٧، ابن الأثير ٤/ ١٩٤ – ٢٠٠.

(3) اليمامة: منقول من اسم طائر يقال له: اليمام، بينها وبين البحرين عشرة أيام، كان فتحها عنوة أيام أبي بكر الصديق على يد خالد بن الوليد، ثم صالح أهلها. معجم البلدان ٥/ ٤٤١.

(4) البحرين: بلد مشهور بين البحرين وعمان تطل على الخليج العربي، صالح أهله رسول الله ﷺ، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي. معجم ما استعجم للبكري ١/ ٢٢٨.

(5) محمد بن الحنفية: ابن الإمام علي بن أبي طالب،أمه من سبي اليمامة، رأى عددا من الصحابة، مات سنة ٨٠،وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع.الطبقات الكبرى ٥/ ٩١

(6) الطبري ٦/ ١٣٨.

وبايع قطريا منهم عصابة حتى خرج إلى طبرستان[١] فوجه إليه الحجاج جيشا عظيما من أهل الشام، وقتل قطري سنة سبع وسبعين[٢].

وبمقتل قطري انقرضت فرقة الأزارقة، وكان أول رؤسائهم نافع بن الأزرق، وآخرهم قطري بن الفجاءة.

ومن ثورات الخوارج في العصر الأموي خروج صالح بن مسرح سنة ٧٦هـ، وكان رجلا ناسكا مصفر الوجه صاحب عبادة، له أصحاب يُقرؤهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم، خرج في عدة من أصحابه تبلغ تسعين رجلا حتى قتل، فبايع أصحابه بعده شبيب الخارجي[٣].

وقد كان شبيب ذا قوة وبأس، خاض حروبا كثيرة حتى هزم لبني أمية أكثر من عشرين جيشا في خلال سنتين[٤]، ويذكر الشهرستاني أنه قتل من جيش الحجاج أربعة وعشرين أميرا من أمراء الجيوش[٥]، وكانت وفاته غريقا في الستة السابعة والسبعين من الهجرة.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز[٦] لم يشأ أن يعاملهم بالشدة والقسوة كما

---

(1) طبرستان: إقليم متسع بجوار خراسان، وهي بلدان متسعة جدا يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يحصى من أهل العلم والأدب.معجم ما استعجم ٣/ ٣٨٨٧، معجم البلدان ٤/ ١٣.

(2) الطبري ٦/ ٣٠٨ – ٣١٠، ابن الأثير ٤/ ٤٤١ – ٤٤٣.

(3) الطبري ٦/ ٢١٦ – ٢١٨، ابن الأثير ٤/ ٣٩٣ – ٣٩٦.

(4) الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية. الدكتور: غالب على عواجي ص ١٤٦.

(5) الملل والنحل ١/ ١٢٣.

(6) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين، أمه: أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد سنة ٦٣هـ، كان من أئمة الاجتهاد حقا، زاهد عابد، ولي الخلافة سنتين تقريبا، مات سنة ١٠١هـ.

عاملهم سائر الخلفاء، بل اتبع معهم سبيل الإقناع والحجة، وجرت بينه وبينهم مناظرات طويلة استمال بها بعضهم إليه، لكن المنية لم تلبث أن وافته أثناء ذلك[١].

وفي عام ١٢٧هـ خرج الضحاك بن قيس الشيباني وزحف إلى الكوفة مع أنصاره الذين بلغوا تعدادا عظيما، فأرسل مروان بن محمد ولده لحربهم، ثم لحق به فقضى عليهم عام ١٢٨ هـ[٢].

وفي عام ١٢٩هـ خرج أبو حمزة الخارجي بعد أن تحالف مع عبد الله بن يحيى طالب الحق[٣]، وبايعه على الخلافة، ودخل المدينة في صفر عام ١٣٠هـ وأقام بها ثلاثة أشهر، ثم سار إلى الشام فأرسل إليه مروان بن محمد جيشا التقى معه، فقتل أبو حمزة وكثير من أصحابه[٤].

وكانت هذه الحركة هي نهاية حركات الخوارج في العصر الأموي، حيث ضعف شأنهم بعد ذلك، ووهنت عزائمهم، وكلّت هممهم، لكنهم مع ذلك أضعفوا الدولة الأموية، وكانوا عاملا قويا من عوامل انهيارها، فلم تلبث إلا قليلا حتى قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ.

طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٠، التاريخ الكبير ٦/ ١٧٤، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٨ رقم١٠٤.

(1) الطبري ٦/ ٥٥٥ –٥٥٦.

(2) الطبري ٧/ ٣١٦ – ٣٢٣.

(3) عبد الله بن يحيى بن عمر الأسود طالب الحق، من أهل اليمن كان قاضيا بحضرموت، خلع طاعة محمد بن مروان، بويع له بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة، حتى قتل في معركة عظيمة. الأعلام ٤/ ١٤٤.

(4) الطبري ٧/ ٣٩٣ – ٣٩٩.

ثالثا: ثورات الخوارج في العصر العباسي:-

نالت الدولة الأموية من الخوارج قدر ما نالوا منها، فخرجوا من صراعهم مع الأمويين منهكي القوى واهني العزيمة، فهم وإن واصلوا صراعهم مع العباسيين إلا أنه كان أقل خطورة عن ذي قبل، حتى وصفوا بأنهم (كانوا في حالة تشبه الاحتضار، وحركاتهم التي أتوا بها في العهد العباسي تشبه حركات المذبوح)[(١)].

هذا الضعف في صفوف الخوارج جعل العباسيين في موقف القوة، فما أن يخرج منهم خارج إلا ويجد من قوة الخلافة ما يصده، فلم يهددوهم كما هددوا الأمويين، وسوف أذكر أشهر ثوراتهم ضد العباسيين.

كان أول خروج في العصر العباسي هو خروج الجلندي بن مسعود، حيث أراد منع جيش الخليفة السفاح[(٢)] من دخول عمان[(٣)]، ووقع بينهم قتال شديد حتى قتل منهم عشرة آلاف[(٤)].

وفي سنة ١٣٧هـ خرج ملبد بن حرملة الشيباني، وكان شجاعا جريئا هزم جيوشا كثيرة للخلافة، حتى بعد معركة طويلة هزم فيها جيشه البالغ

---

(1) ضحى الإسلام. الأستاذ: أحمد أمين ٣/ ٣٣٥.

(2) أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أول خلفاء بني العباس، تولى عام ١٣٢هـ، لم تطل أيامه في الخلافة، مات في ذي الحجة سنة ٣٦ هـ عن ٢٨عاما. سير أعلام النبلاء ٦/ ٧٧.

(3) عمان: بلدة على ساحل البحر، وتشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، وجوها حار، وأهلها على المذهب الإباضي.معجم البلدان ٤/ ١٥٠.

(4) الطبري ٧/ ٤٦٣.

ثمانية آلاف مقاتل[١].

وتوالى خروجهم في العصر العباسي، لكنهم لم يكونوا بالقوة التي كانوا عليها، فلم تكن جيوشهم تصمد كثيرا أمام جيوش الخلافة حتى قضي عليهم تماما ولم يعد لهم وجود على الساحة.

تعقيب:

من خلال هذه الثورات المتعددة للخوارج يمكن أن نرصد بعض الجوانب التالية:-

أولاً: تميز الخوارج بالشجاعة الفائقة، والبسالة النادرة، حتى إن العدد القليل منهم يهزم جيشا خمسين ضعفا للخوارج[٢].

وقد كان هذا أمرا بارزا عند الخوارج، حيث شاع عندهم الرغبة في الموت وحب الاستشهاد، فكانوا يواجهون المخاطر بفدائية عجيبة، ويثبتون في الساعات الحرجة ثباتا لا نظير له، ويستهينون بزخرف الدنيا دفاعا عن المبدأ الذي اعتقدوه.

ذكر الطبري أنهم لما كسروا سجن الكوفة وخرجوا منه بعد وفاة المغيرة بن شعبة اجتمعوا فخطبهم زعيمهم حيان بن ظبيان - رغم قلة عددهم - فدعاهم: أن تعالوا على الموت، أخرجوا أنفسكم من الفتن، هلموا إلى جنة الخلد، فأطاعوه[٣].

---

(1) الطبري ٧/ ٤٩٥ – ٤٩٨.

(2) كما حدث مع أبي بلال مرداس بن أدية حيث خرج في أربعين من أصحابه وهزم جيشا من ألفي مقاتل.

(3) الطبري ٥/ ١٧٣ – ١٧٤.

ويمثل شجاعتهم خبر تمثيل قول قطري بن الفجاءة:-

أقـول لهـا وقـد طـارت شـعاعا مـن الأبطـال ويحـك لـن تراعـي
فإنـك لـو سـألت بقـاء يـوم عـن الأجـل الـذي لـك لـن تطاعي
فـصبرا في مجـال المـوت صـبرا فمـا نيـل الخلـود بمـستطاع
ولا ثـوب البقـاء بثـوب عـز فيطـوى عـن أخـي الخنـع اليراع
سـبيل المـوت غايـة كـل حـي فـداعية لأهـل الأرض داع[1]

وقد امتدت هذه الشجاعة لنساء الخوارج، فقد كن على درجة عالية من الشجاعة والثبات، وخير مثال لذلك: غزالة التي دخلت الكوفة في مائتين من نساء الخوارج قد اعتقلن الرماح وتقلدن السيوف، وقصدت المسجد الجامع فصلت فيه، وقد صبر الحجاج في بيته ولم يخرج[2].

ومنهن أم حكيم الخارجية، كانت من أشجع الناس، وأجملهم وجها، وأحسنهم بالدين تمسكا، وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تجبهم

فأخبر من شاهدها في الحرب أنها كانت تحمل على الناس، وترتجز فتقول:

أحمـل رأسـا قـد سـئمت حملـه وقـد مللـت دهنـه وغـسله
ألا فتى يحمل عني ثقله

(1) انظر: عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ١/ ٢٦٦ – دار الكتب العلمية – بيروت بدون تاريخ.
العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ١/ ٩٦ –دار الكتب العلمية– الثالثة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
(2) الفرق بين الفرق ص ١١٢.

والخوارج يفدونها بالآباء والأمهات، فما رأينا قبلها ولا بعدها مثلها[١].

بل إنهن كن يسارعن إلى الخوارج مما يقلق الأمويين، حتى ظفر زياد بامرأة منهم فقتلها، ثم عرَّاها، فلم تخرج النساء بعد على يزيد، وكن إذا دعين إلى الخروج قالوا: لولا التعرية لسارعنا[٢].

وكانوا يربون أبناءهم على هذه الشجاعة، ومما يروى عنهم في ذلك أن أحدهم - وكان بارا بأمه - أراد الخروج فقال لها: يا أمة لولا مكانك لخرجت. فقالت: يا بني قد وهبتك لله[٣].

ثانياً: أن شجاعة الخوارج كانت متهورة، لا تعرف حقاً لكبير أو صغير أو امرأة، وربما دفعهم تهورهم واندفاعهم إلى ارتكاب أمور يعجز المرء عن فهمها.

خرجوا ذات مرة فرأوا رجلا اسمه سماك بن يزيد ومعه بنت له، فأخذوها ليقتلوها، فقالت لهم: يا أهل الإسلام إن أبي مصاب فلا تقتلوه، وأما أنا فجارية، والله ما أتيت فاحشة قط، ولا آذيت جارة لي، ولا تطلعت ولا تشوفت قط، فلما أرادوا قتلها سقطت ميتة، فقطعوها بأسيافهم[٤].

فقد كانوا يعاملون مخالفيهم بشدة وقسوة، ولا تأخذهم بهم رأفة ولا رحمة، أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها، وكانت جميلة، ثم أرادوا قتلها، فقالت:

---

(1) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٧١.
(2) أخبار الخوارج من الكامل ص ٥٨.
(3) السابق ص ٦٥.
(4) الكامل لابن الأثير ٤/ ٢٨٤.

أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين. فقال قائل منهم: دعوها. فقالوا: قد فتنتك، ثم قدموها فقتلوها[١]. فهم حتى لم يقبلوا شفاعة واحد منهم فيها، لأنهم جبلوا على قسوة القلب، والخشونة في التعامل.

ثالثاً: أن الخوارج ما كانوا يقاتلون في سبيل متاع دنيوي، بل من أجل مبدأ يرون أن إقامته فرض عليهم، ومن أجل ذلك فارقوا عبد الله بن الزبير مع أنهم كانوا يقاتلون عدوا مشتركا، وفي سبيلهم للنصر، لكن لما علموا أنه على غير رأيهم فارقوه غير نادمين.

يروى أن شبيبا حاصر إحدى المدن فندب من أصحابه من يأتيه برأس عاملها، فساروا حتى أتوا دار العامل ونادوا: أجيبوا الأمير.

فقالوا: أي الأمراء؟ قالوا: أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيبا، فاغتر العامل بذلك وخرج إليهم فضربوا عنقه، وقبضوا على ما كان في دار الإمارة من مال، ولحقوا بشبيب، فلما انتهوا إليه قال: ما الذي أتيتمونا به؟ قالوا: جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال، والمال على دابة في بدرة. فقال شبيب: أتيتمونا بفتنة للمسلمين. هلم الحربة يا غلام! فخرق بها البدرة وأمر فنخس بالدابة والمال يتناثر من البدرة حتى وردت الصراة، فقال: إن بقي شئ فاقذفه في الماء[٢].

وإذا كانوا بهذه الصورة فإن قتالهم يكون عنيفا، لأن غرضهم أحد أمرين: نصرة مذهبهم، أو الشهادة.

---

(1) تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٨.

(2) تاريخ الطبري ٣/ ٨٥٣.